علم رجال الحديث

عرفنا من قبل أن علم «الحديث دراية» هو علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها، وحال الرواة وشروطهم، وأنواع المرويات وما يتعلق بها، أو هو باختصار: القواعد التى يعرف بها حال الراوى والمروى، والراوى: هو الذى يروى الحديث عمن أخذ منه، والمروى: هو الحديث المنقول بطريق الرواية، ويسمى هذا المروى اصطلاحًا بـ «المتن»، ويسمى الذين يروونه بـ «الرواة» أو «رجال السند».

فإذا قال البخارى مثلاً: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد القرشى، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا أبو بردة بن عبد الله بن أبى بردة، عن أبى بردة، عن أبى موسى رضى الله عنه، قال: «قالوا: يا رسول الله.. أى الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده».

فهؤلاء الذين ذكرهم البخارى- بدءًا بسعيد بن يحيى بن سعيد القرشى، ونهاية بأبى موسى- هم رواة الحديث، ويقال لهم: السند، أو رجال السند، وقوله عليه الصلاة والسلام: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» هو المروى، أو الحديث. ويسمى كذلك المتن، والذى يروى الحديث برجاله المذكورين يكون مسنِدًا (بكسر النون)، وعمله هذا يسمى إسنادًا.

وفى ضوء ما سبق نُعرِّف الألفاظ الاصطلاحية الآتية:

* **السند، فى اللغة:** مأخوذ من قولهم: سند إليه يسند سنودًا: أى ركن إليه، واعتمد عليه، وسند الشىء سندًا، أى جعل له سنادًا أو عمادًا يستند إليه.

● **والسند فى اصطلاح المحدِّثين:** هو الطريق الموصل للمتن، أى سلسلة الرجال الموصلة للمتن، سمى سنداً لاعتماد الحفاظ فى صحة الحديث وضعفه عليه.

● **والإسناد:** هو رفع الحديث لقائله، وعرفه ابن حجر بقوله: حكاية طريق المتن. وقد يطلق على سلسلة الرجال الموصلة للمتن، فيكون بهذا مرادفًا للسند.

● **والمسند** (بكسر النون): هو الذى يروى الحديث بسنده.

● **والمتن،** لغة: ما صلب وارتفع من الأرض.

● **والمتن فى اصطلاح المحدِّثين:** هو ما ينتهى إليه غاية السند من الكلام، سمى متنًا لأن المسند يقويه بالسند ويرفعه إلى قائله، أو من تمتين القوس، أى شدها بالعصب، لأن المسند يقوى الحديث بسنده[1].

● **وعلم رجال الحديث** -ويسمى كذلك: «علم تاريخ الرواة»- هو العلم الذى يُعرف به أحوال كل راوٍ من رواة الحديث، من حيث ولادته، ووفاته، وشيوخه، ومن روى عنه، وبلادهم ومواطنهم، وغير ذلك مما له صلة بتاريخ الرواة وأحوالهم.

واقترن هذا العلم بنشأة الرواية، ثم أخذ فى النماء حتى اشتد ساعده، واهتم العلماء به ليتمكنوا من معرفة رجال الأسانيد، وفحص أحوالهم، حيث يأخذون عنهم دينهم، يقول محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[2].

فكان تاريخ رجال الحديث خير عون على معرفة درجة الرواية، واتصال الأسانيد أو انقطاعها.

---

(١) تدريب الراوى ص ٥-٦، نزهة النظر ص ١٩.

(٢) مقدمة صحيح مسلم.

عن أبى إسحاق إبراهيم بن عيسى الطَّالَقَانى (بتشديد الطاء وفتحها وفتح اللام والقاف) قال: قلت لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن، الحديث الذى جاء «إن من البر بعد البر أن تصلى لأبويك مع صلاتك، وتصوم لهما مع صومك» قال: فقال عبد الله: يا أبا إسحاق، عمن هذا؟ قال: قلت له: هذا من حديث شهاب بن خراش، فقال: ثقة، عمن؟ قال: قلت: عن الحجاج بن دينار، قال: ثقة، عمن؟ قال: قلت: قال رسول الله ﷺ، قال: يا أبا إسحاق، إن بين الحجاج ابن دينار وبين النبى ﷺ مفاوز، تنقطع فيها أعناق المَطِىّ (بفتح الميم وكسر الطاء وتشديد الياء)، ولكن ليس فى الصدقة اختلاف»[1].

وهذا من خصائص أمتنا نحن المسلمين.

قال ابن حزم: «نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبى ﷺ مع الاتصال خُصَّ به المسلمون دون سائر الملل».

وتاريخ الرجال هو الذى أماط اللثام عن الرواة الكذابين، قال سفيان الثورى: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ».

وعن حفص بن غياث أنه قال: «إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين»- يعنى احسبوا سنه وسن من كتب عنه[2].

روى عُفير (بضم العين) بن معدان الكُلاعى (بضم الكاف) قال: «قدم علينا عمر بن موسى حمص، فاجتمعنا إليه فى المسجد، فجعل يقول: حدثنا شيخكم الصالح، فلما أكثر قلت له: من شيخنا هذا الصالح؟ سَمِّه لنا نعرفه، فقال: خالد ابن معدان، قلت له: فى أى سنة لقيته؟ قال: لقيته سنة ثمان ومائة، قلت: فأين

(١) المرجع السابق، ومفاوز: جمع مفازة، وهى الأرض القفر البعيدة عن العمارة وعن الماء، التى يُخاف الهلاك فيها، وقوله: «ليس فى الصدقة اختلاف» معناه أن هذا الحديث لا يُحتج به، ولكن مَنْ أراد بر والديه فإن الصدقة تصل إلى الميت وينتفع بها بلا خلاف بين المسلمين- والمطى: جمع مطية، وهى ما يُركب، ويُجمع كذلك على مطايا.

(٢) الكفاى فى علم الرواية للخطيب البغدادى ص ١١٩ طبع. الهند- وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقى، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوى: ٤/ ١٣٣ طبع. الهند، وعلوم الحديث ص ٣٤٣.

لقيته؟ قال: لقيته فى غزاة أرمينية، فقلت له: اتق الله يا شيخ، ولا تكذب، مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة، وأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين، وأزيدك أخرى، إنه لم يغز أرمينية قط، كان بغزو الروم»[1].

وعن الحاكم بن عبد الله قال: لما قدم علينا أبو جعفر محمد بن عبد الله الكشى وحدَّث عن عبد بن حميد، سألته عن مولده، فذكر أنه وُلِدَ سنة ستين ومائتين، فقلت لأصحابنا: سمع هذا الشيخ من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة»[2].

وقد اجتمع من مثل هذه الأخبار الكثير، وسجَّلها العلماء فى مصنَّفاتهم، وتشعبت أنواع التصنيف فى ذلك، واتسعت أغراضه.

١- مصنفات فى أسماء الصحابة خاصة

الصحابة: جمع صحابى، والصحابى لغة: مشتق من الصُّحبة، وهذا يصدق على كل مَن صحب غيره قليلاً كان أو كثيرًا.

والصحابى عند المحدِّثين: هو كل مسلم رأى رسول الله ﷺ وإن لم تطل صُحبته له، وإن لم يرو عنه شيئًا.

قال البخارى فى صحيحه: «مَن صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه».

وقال ابن الصلاح: «بلغنا عن أبى المظفر السمعانى المروزى أنه قال: أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل مَنْ روى عنه حديثًا أو كلمة ويتوسعون حتى يعدوا مَنْ رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبى ﷺ، أعطوا كل مَنْ رآه حكم الصُّحبة».

ونُسِبَ إلى إمام التابعين سعيد بن المسيب قوله: «الصحابة لا تعدهم إلا مَنْ أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين» وهذا هو الذى

---

(١) الكفاية ص ١٩٩.
(٢) علوم الحديث ص ٣٤٣.

يحكيه الأصوليون، ولكن العراقى قال: لا يصح هذا عن ابن المسيب، فجرير بن عبد الله البجلى من الصحابة، وإنما أسلم فى سنة عشر. وعَدَّ العلماء من الصحابة من لم يغز معه، ومن توفى رسول الله ﷺ وهو صغير السن ولم يجالسه.

قال ابن حجر: «وأصح ما وقفتُ عليه من ذلك أن الصحابى: مَن لقى النبى ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت، ومَن روى عنه أو لم يرو، ومَن غزا معه أو لم يغز، ومَن رآه رؤية ولم يجالسه، ومَن لم يره لعارض كالعمى»[1].

- **ما تُعرف به الصُحبة**

١- يُعرف كون الرجل صحابياً بالتواتر.

٢- أو باشتهار ذلك بما يقصر عن حد التواتر.

٣- أو بأن يروى عن أحد الصحابة أنه صحابى.

٤- أو يخبر عن نفسه بأن صحابى.

واختُلِفَ فى أول من أسلم من الصحابة: فقيل: أبو بكر الصِدِّيق، وقيل: علىّ ابن أبى طالب، وقيل: زيد بن حارثة، وقيل: خديجة. وذكر ابن حجر أن خديجة أول مَن صدَّقت ببعثته ﷺ مطلقًا.

- **عدالة الصحابة**

والصحابة كلهم عدول عند أهل السُّنَّة والجماعة، لما أثنى الله عليهم فى كتابه العزيز، وبما نطقت به السُّنَّة النبوية مدحًا لهم فى جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدى رسول الله ﷺ رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل.

---

(١) انظر: صحيح البخارى: أول فضائل الصحابة -وعلوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٦٣- والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير تاليف أحمد محمد شاكر ص ١٧٩ طبع. دار الكتب العلمية- والإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر: ١/ ٤- وفتح المغيث: ٤/ ٢٩- وتدريب الراوى ص ٣٩٦.

وأما ما شَجَر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام، فمنه ما وقع عن غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن صاحبه معذور إن أخطأ، ومأجور أيضًا. وأما المصيب فله أجران اثنان[1].

ومن الصحابة مَن كثرت روايته عن رسول الله ﷺ. وهم: أبو هريرة، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب، وأنس بن مالك، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصارى، وأبو سعيد الخدرى: سعد بن مالك بن سنان الأنصارى.

ومنهم مَن قلَّت روايته، أو لم يرو شيئًا.

وكان آخرهم وفاة على الإطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثى، توفى سنة (١١٠هـ) بمكة.

● **وأشهر ما صُنِّف فى الصحابة**

أ- «كتاب معرفة مَن نزل من الصحابة سائر البلدان» للأمام علىّ بن عبد الله المدينى (ت ٢٣٤هـ) ولكنه لم يصل إلينا.

ب- «كتاب تاريخ الصحابة» لمحمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦هـ) ولم يصل إلينا هذا الكتاب كذلك.

جـ- «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» لأبى عمر يوسف بن عبد الله المشهور بابن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣هـ) وقد طبع مرارًا، وفيه (٤٢٢٥) ترجمة لصحابى وصحابية.

د- «أُسْد الغابة فى معرفة الصحابة» لعز الدين أبى الحسن على بن محمد بن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠هـ) وهو مطبوع، وفيه (٧٥٥٤) ترجمة.

---

(١) علوم الحديث ص ٢٩٦- والباعث الحثيث ص ١٨١- ١٨٢.

هـ- «تجريد أسماء الصحابة» للحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى (ت ٧٤٨هـ) وقد طُبع بالهند.

و- «الإصابة فى تمييز الصحابة» لشيخ الإسلام الإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن على الكنانى المشهور بابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢) وهو أكثرها جمعًا وتحريرًا، ومجموع التراجم التى فى الإصابة (١٢٢٧٩) بما فى ذلك المكرر، للاختلاف فى اسم الصحابى، أو شهرته بكنية، أو لقب، أو نحو ذلك، وبما فيه أيضًا ممن ذكر أنه من الصحابة وليس منهم.

٢- التصنيف على الطبقات

ومن المصنفين فى تاريخ الرواة مَن صنَّف على الطبقات، فتناول الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ومَن تلاهم طبقة بعد طبقة، والطبقة تمثل جماعة من الرواة عاشوا فى عصر واحد، وقد يتناول المصنف رجال الحديث عامة فى كل طبقة دون تقييد بمكان مخصوص، وقد يقتصر على رجال بلدة واحدة.

- **وأشهر ما صُنِّف فى الطبقات:**

أ- «كتاب الطبقات» لمحمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧هـ) ذكره ابن النديم فى الفهرست، ونقل عنه كثيرًا محمد بن سعد كاتب الواقدى فى كتابه «الطبقات الكبرى».

ب- «كتاب الطبقات الكبرى» لمحمد بن سعد (ت. ٢٣٠هـ) وهو مطبوع فى أربعة عشر مجلدًا.

جـ- «كتاب طبقات الرواة» لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) اقتبس منه ابن حجر، وتوجد منه نسخ مخطوطة.

د- «كتاب الطبقات» لمسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١هـ) وتوجد منه نسخ مخطوطة.

هـ- «كتاب الطبقات» لأبى بكر أحمد بن عبد الله البرقى (ت ٢٧٠هـ) اقتبس منه ابن حجر فى تهذيب التهذيب.

و- «كتاب طبقات المحدِّثين» لأبى القاسم مسلمة بن القاسم الأندلسى (ت ٣٥٣هـ).

ز- «كتاب طبقات المحدِّثين بأصبهان والواردين عليها» لأبى الشيخ بن حيان الأنصارى (ت ٣٦٩هـ) ويوجد منه نسخ مخطوطة.

ح- «كتاب طبقات المحدِّثين» لأبى القاسم عبد الرحمن بن منده (ت ٤٧٠هـ).

وقد ضاعت مصنَّفات كثيرة، والقليل منها هو الذى وصلنا، وأعظمها شأنًا «الطبقات الكبرى» لابن سعد.

ومن المصنِّفين من صنَّفوا على البلدان، ومن ذلك:

أ- «تاريخ نيسابور» للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى (ت ٤٠٥هـ) وهو كتاب مفقود.

ب- «تاريخ بغداد» لأبى بكر أحمد بن علىّ البغدادى المعروف بالخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ) والكتاب مطبوع، وهو من أجَلِّ الكتب وأغزرها فائدة.

جـ- «تاريخ دمشق» للمؤرخ علىّ بن الحسين المعروف بابن عساكر الدمشقى (ت ٥٧١هـ).

obeikandl.com